من خطى الأولياء

المرجع الديني الراحل

آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص ب ٦٠٨٠ / ١٣ شوران

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ
لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الآَخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ
ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

صدق الله العلي العظيم
سورة يونس: ٦٢- ٦٤

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الورى أجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إعلم أنّ في الإنسان حباً فطرياً للكمال المطلق، وهو دائماً يحاول الوصول لذلك الكمال. وهذا الحب وهذه النزعة مما يستحيل أنْ تفارق الإنسان تماماً، وذلك الكمال المطلق هو الحق جل وعلا. وجميع بني البشر يبحثون عنه، وإليه تهفو قلوبهم ولكنهم لا يعلمون ذلك؛ لأنّهم محجوبون بحجب كثيرة.

ونتيجة هذا النداء الفطري الكامن بالأعماق ينطلق الإنسان في رحاب هذه الدنيا باحثاً عن ضالته المنشودة، ولكنه يتوهم ويطلب أشياء أُخرى غير هذا الكمال المقصود.

فمن توهم أنّ الكمال هو القدرة والسعي إليها والى السلطة مثلاً تراهم لا يقنعون بتحقيق أي مرتبة منها، ولا يقنعون بالحصول على أي جمال أو قدرة أو مكانة فهم دائماً يشعرون أنهم لا يجدون ـ رغم ذلك كله ـ ضالتهم المنشودة؛ لأنّهم لو أعطوا حق التصرف في جميع العالم المادي بل بكل ما فوقه ثم قيل لهم: إنّ هناك قدرة فوق هذه القدرة أو أن هناك عالماً آخر فوق هذا العالم، فهل تريدون الوصول إليه؟ فإن من المحال أنْ لا يتمنون ذلك، ويحاولون الوصول إليه.

وهكذا كل أفراد الجنس البشري مهما تكن مهنتهم وحِرفهم، فهم كلما تقدموا في سعيهم مرحلة متقدمة رغبوا في بلوغ مرحلة أكمل من سابقتها، ولهذا يشتدّ شوقهم وتطلعهم.

وعليه فإنّ ما يجعل النفس الملحة والتي دائماً تطلب المزيد مطمئنة هادئة إنما هو الوصول إلى الحق عزوجل والذكر الحقيقي له؛ لأنّ ذلك هو الذي يبعث الطمأنينة والهدوء فيها. وكأن قوله تعالى: ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[1] إشارة إلى هذه الحقيقة التي تلبي نداء الفطرة

(١) سورة الرعد: ٢٨.

المتأصل بالإنسان. حيث في هذه الآية تذكير ولفت انتباه إلى قلب الإنسان ومحتواه المتحير بأنه لا يسعى للالتصاق بأي ركن وثيق، متوهماً أنّه هو الحقيقة المطلقة أو هو المؤثر الحقيقي في هذا العالم، غير الله تعالى عز اسمه الذي بذكر اسمه يحصل الاطمئنان.

وهذا هو البذرة الأساسية لنمو التوحيد وأثره على الإنسان. الذي يشكل القاعدة المتينة في تحرك الإنسان الرسالي عبر الأجيال وعلى مر العصور. وقد أشار القرآن الكريم إلى كونها حقيقة ضرورية ثابتة لا يمكن تجاوزها، من خلال ما قررته القصص والآيات القرآنية المباركة. وكذلك ما جسدته السيرة العملية لأهل بيت الوحي (صلوات الله عليهم أجمعين). وهذه الخطوات التي يخطوها الإنسان خلال هذه السيرة ـ مسيرة الكدح والوصول إلى الله عزوجل ـ تبدأ من يقظته والانتباه والالتفات إلى هذا العالم، وبالأخص من نفسه، التي هي جزء من هذا العالم.

وكلما أصاب علماً زادت معرفته وزاد إيمانه وتكامله حتى يبلغ اليقين، وبهذا يكون قد امتلك من القوة الروحية التي لا يضاهيها شيء آخر.

وبهذا السياق ـ عزيزي القارئ ـ فإن هذا الكتاب الذي بين يديك: من خطى الأولياء، وهو من المساهمات الحسنة في هذا الشأن، أجاد بها يراع المرجع الديني الأعلى السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله)، الذي كانت له وقفات متنوعة على شتى المواضيع وزود بها المكتبة الإسلامية.

حيث تناول السيد الإمام (دام ظله) هذا الموضوع، وكيف أنّ الإنسان المؤمن يكدح في هذه الدنيا لكي يصل إلى نهاية غايته وهو الله عزوجل الذي يمثل اليقين مرحلة من مراحل هذا الكدح والجهاد في سبيل الوصول والعروج إلى ساحة القدس، وهناك آثار عملية تترتب على هذه المرتبة وتكون واضحة في سلوك المؤمن. منها أن المتقي يرى السعادة العظمى في خدمة الآخرين.. والاستغناء عن الناس.

ونحن هنا في مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر إيماناً منا بأهمية هذا السفر القيم قمنا بطباعته ونشره، وكذلك غيره من البحوث والمحاضرات التي ألقاها السيد الإمام (دام ظله) في أوقات وأماكن مختلفة، فأصبحت كمؤلفاته التي تجاوزت ألف وخمسمائة كتاب وكراس.

أعزاؤنا القرّاء نحن نتوخى أنْ يتيسر لكم التزود من فائدة المحتوى وراجين من الله عزوجل

السداد والقبول وأن يوفقنا جميعاً للعمل الصالح إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت لبنان /ص.ب: ١٣/٦٠٨٠ شوران

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

كدح الإنسان في الدنيا

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ**﴾(٢).

الإنسان في هذه الحياة الدنيا يسعى بجد ليصل إلى هدفه الأخير وهو الكمال، ولذلك يصف الله عزوجل سير الإنسان في الحياة بالكدح وهو العمل الشاق المتعب؛ ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ**﴾ أي إن نهاية الأمر هو الرجوع إلى الله تعالى، ولكن غايات البشر متباينة، فالمؤمن يكدح ليحصل على رضا الله، والملحد يكدح ليلتذ بالدنيا، ويتمتع بزخارفها. وكلامنا يخص الإنسان المؤمن وسيرته، وهذه المسيرة الإيمانية عادة تمر بمراحل عديدة، حتى يصل المرء إلى الشوط الأخير. فيبدأ الإنسان يفتش عن خبايا نفسه العجيبة وأسرارها، وهي المرحلة المسماة بـ(معرفة النفس)، أي الاطلاع على حقيقة فقر الذات الإنسانية، وكيف أنها لا تستغني عن خالقها في كل آن. وهو الأمر الذي يدعو الإنسان إلى (معرفة الله)، وهي المرحلة الثانية من مراحل مسيرة الكمال، فيبدأ يبحث عن صفات الله عزوجل ويستشعرها، أما المرحلة الأخرى فهي العيش في الأجواء النورانية التي تفيض عليه نوراً ومعرفة، وهي مرحلة العبور من الإيمان السطحي المتمثل بأداء الواجبات عن خوف وطمع إلى اليقين وأداء الواجبات حباً وطاعة وشكراً، عندها يتهذب السلوك؛ لأنه سوف يتنوّر بالمشارق النورانية الإلهية، وتتبدل أعماله من اشباع للغريزة إلى صفة التقوى وملازمة الطاعة والشكر والقرب إلى الله تعالى. فهذا حال المؤمنين، تراهم يأكلون ويشربون

(٢) سورة الانشقاق: ٦.

لأجل الكدح الموصل إلى الله عزوجل، لا لأجل الملذات نفسها، أو لنداء الغرائز الشهويّة، وبذلك يرتفع هؤلاء إلى المستوى الذي يفضلون منه على ملائكة الله عزوجل.

ومنها تبدأ مرحلة الكدح الأخيرة، وهي محاولة الاندكاك والفناء في الله، وهي التي يصلها الأنبياء والأوصياء، ولكن بمراتب متباينة، وقد فاز الرسول الأعظم وأهل بيته (عليهم أفضل الصلوات) بهذه المرتبة العظمى، ولذلك كانت الخلائق كلها في الدنيا والآخرة تنهل من النورانية المحمّدية، والقدسية الشريفة التي يفيضها الرسول الأعظم □ على الخلائق.

أما سائر الناس فانهم يتسافلون إلى حد البهيمة، لأنهم دائموا الطاعة لنداء الغرائز الشهوية، وهكذا هي المسيرة، فهو صراع حادّ بين الايمان والهوى، وبين حب الله وحب الدنيا، وبين الكدح واللامبالاة، إلى أن يصلوا إلى اليقين الذي يقربهم من ربهم، فتتسدّد خطاهم، وتنشرح صدورهم لاستقبال الفيض القدسي، الذي ينشر على جوارح وجوانح الإنسان رحمةً وقراراً وسكينة.

درجات اليقين

إن اليقين صفة ذات مراتب ودرجات، وليس كل المؤمنين الموقنين على درجة واحدة من اليقين، فاليقين عند الأنبياء □ غير اليقين عند الأوصياء، ويقين الأوصياء غير يقين العلماء، ويقين الشهداء غير يقين الآخرين، وهكذا الأمثل فالأمثل؛ ولذلك كانت الجنة مراتب مختلفة، فمناصب الأنبياء غير مناصب الناس العاديين، ومنصب الرسول الأعظم □ يفوق كل مناصب أهل الجنة، فاليقين الذي تحلّى به الإمام علي □، ويصفه بقوله: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»[٣]، ذلك اليقين بالله هو قطعاً غير يقين همّام، الذي ما إن سمع كلمات أمير المؤمنين □ في وصف المتقين[٤]، حتى زهقت روحه، فكيف الحال به لو انكشف له الغطاء؟ إن يقين أمير المؤمنين □ يمتاز بان ذاته القدسية قد وصلت إلى مقام الاستغراق في الله فأصبح بعيداً عن فكرة الجنة والنار، بل إنه يرى الله في كل آن، أما يقين همّام فقد كان عبارة عن الخشية من عذاب الله، فهذا فرق واضح، وأعظم من ذلك يقين الرسول الأعظم □،

(٣) كشف الغمة: ج١ ص١٧٠ في وصف زهده □ في الدنيا..

(٤) أنظر نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٣ يصف □ فيها المتقين.

فلولا عظمة درجة يقينه لما تحمّل رحلة الإسراء والمعراج، فليس كل قلب يستطيع أن يتحمل ذلك.

بل الكثيرين في عصرنا الحاضر ممن يشكك في مسألة الإسراء والمعراج؛ لأنه يراها ثقيلة على فكره الصغير.

ثم إنه لابد من الإشارة إلى أن اليقين قابل للضعف والشدة، وذلك مرتبط بمقدار المعرفة التي يحملها الإنسان عن ربه، فكلما ازدادت معرفته به فقد ارتفع يقينه، وازداد عمله الخيّر، وكلما ضعفت معرفته بربه فقد قلّ يقينه، وخفّت أعماله في الميزان؛ فلذلك ذكر العلماء درجات اليقين، استلهاماً من القرآن الكريم، وهي: عين اليقين، وحق اليقين، وعلم اليقين.

الموقنون وخرق العادة

إن الركون والإيمان بالتوحيد يلهم الإنسان المؤمن قوة روحية عظيمة جداً، لأنه عندما ينظر إلى ربه في تحركه، ويفكر بربه في كل فكرة، ويذكر ربه في كل قول، ويستشعر عظمة الرب في قلبه، فان ذلك يكون مدعاة لانشراح الصدر، واستقبال الفيض الرباني الذي يفيض على الروح قوة، ويجعلها تذلل الصعاب، بل تنقاد لها الأمور.

يروى عن الإمام الصادق □ انه قال: «إن عيسى بن مريم□ كان من شرايعه السيح في البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير، وكان كثير اللزوم لعيسى □، فلما انتهى عيسى إلى البحر، قال: بسم الله، بصحة يقين منه، فمشى على ظهر الماء، فقال الرجل القصير، حين نظر إلى عيسى جازه: بسم الله، بصحة يقين منه، فمشى على الماء ولحق بعيسى»(٥). لأنه كان على معرفة يقينية تامة بالنبي عيسى □، وعلى أساس هذه المعرفة مشى على الماء، فالوصول إلى هذه الدرجات ليس خيالاً ولا أمراً مستحيلاً، بل هو واقع لا يمكن إنكاره. ولذلك جاء في الحديث القدسي المشهور: «يا ابن آدم أنا أقول للشيء كن فيكون أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون»(٦).

وهكذا يمكن تفسير قلع باب خيبر من قبل أمير المؤمنين □، والتي لم يكن يقدر على فتحها وإغلاقها إلا أربعون رجلاً، بينما تقدم أمير المؤمنين □ وأخذه بيده، وقلعه من

(٥) الكافي: ج٢ ص٣٠٦ باب الحسد ح٣.

(٦) بحار الأنوار: ج٩٠ ص٣٧٦ ب٢٤ ح١٦.

الحصن، ليجعل منه جسراً على الخندق، تعبر عليه جيوش الإسلام[٧]، فقد روي أن أمير المؤمنين □ قال في رسالته إلى سهل بن حنيف □: «والله، ما قلعت باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية ولا حركة غذائية لكن أيدت بقوة ملكوتية، ونفسٌ بنور ربها مضيئة وأنا من أحمد كالضوء من الضوء» الحديث[٨].

فهذه الأمور يقف أمامها العقل المادي حائراً مذهولاً لأنه لا يجد لها تفسيراً، بعد أن حجّم الناس أنفسهم، وقيّدوا أفكارهم بالمادة، وابتعدوا عن الغيب والروح، التي لا تعرف لها حدود معينة، فيحاولون أن يكذبوا هذه الأخبار، ويصفوها بالخرافة، ولكن هيهات فان الله يأبى إلا أن يتم نوره، فقد تحدثت الأخبار لدى عامة المسلمين بفضائل أمير المؤمنين □، وأكدت على هذه الأمور عين الواقع، ولكن حال بين هؤلاء وبين تصديق ذلك، الغشاوات والحجب التي راكموها على قلوبهم. وصاروا كما قال تعالى عنهم: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ ۞ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ**﴾[٩].

(٧) أنظر أمالي الشيخ الصدوق □: ص٣٩٩ المجلس ٦٢ ح١٣، وفيه: عن القاسم بن أبي سعيد قال: أتت فاطمة □ النبي □ فذكرت عنده ضعف الحال، فقال لها: «أما تدرين ما منزلة علي عندي كفاني أمري وهو ابن اثنتي عشرة سنة وضرب بين يدي بالسيف وهو ابن ست عشر سنة وقتل الأبطال وهو ابن تسع عشرة سنة وفرَّج همومي وهو ابن عشرين سنة ورفع باب خيبر وهو ابن اثنتين وعشرين سنة كاملة وكان لا يرفعه خمسون رجلاً» قال: فأشرق لون فاطمة □ ولم تقر قدماها حتى أتت علياً □ فأخبرته..

(٨) أمالي الشيخ الصدوق □: ص٥١٤ المجلس ٧٧ ح١٠، وانظر الإرشاد: ج١ ص١٢٨.

(٩) سورة البقرة: ١٧ و١٨.

ثمرات اليقين

اليقين ـ كما مرّ ـ صفة كمالية يصل بها الإنسان إلى كماله الروحي المطلق، وهو الأُنس والاكتفاء والاعتماد على الله عزوجل فقط، ولهذه الصفة ثمرات عظيمة جداً في الحياة الدنيا.

السعادة العظمى

منها: إن المتقي يرى السعادة العظمى في خدمة الآخرين لله، حيث يسعد ويفرح عندما يقدّم خدمة أو عملاً ما لشخص من أجل الله، يقول الإمام الصادق □: «كان علي بن الحسين □ لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرفقة، فيما يحتاجون إليه، فسافر مرة مع قوم، فرآه رجل فعرفه، فقال لهم: أتدرون من هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا علي بن الحسين □. فوثبوا، فقبلوا يده ورجله، وقالوا: يا ابن رسول الله، أردت أن تصلينا نار جهنم لو بدرت منا إليك يد أو لسان، أما كنّا قد هلكنا إلى آخر الدهر فما الذي يحملك على هذا؟ فقال: إني كنت سافرت مرة مع قوم يعرفونني، فأعطوني، برسول الله □، ما لا أستحق به، فإني أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحب لي»(١٠). هذه صورة وانموذج من أحوال المتقين، الذين تجاوزت أرواحهم وأفكارهم هذه الدنيا وتجاوزت حب الذات، إلى أن صارت تنظر إلى الآخرين وكأنها تنظر إلى نفسها، ويقوم الإنسان الموقن بخدمة الناس، ويشعر بأنه يخدم نفسه، ويقدم الخير إليها، فيسعد حينما يسعد الناس، وكذلك الشهيد، فهو ذلك الإنسان الذي وصل إلى حالة من اليقين بربه، وانقطع عن الدنيا تماماً، وتجاوز أفق الدنيا إلى الآخرة، فهو يجاهد ويخرج مقاسياً الألم ونزف الدماء، من أجل أن يعيش الآخرون؛ إذ أنه يعي تماماً بأنه يموت من أجل أن يعيش الآخرون.

فهذه كلها من ثمرات اليقين، وهي أعمال تخدم البشرية وتؤمّن عيشها الرغيد، وتحافظ عليها.

الرصيد الروحي

(١٠) عيون أخبار الرضا □: ج٢ ص١٤٥ ب٤٠ ح١٣.

ومن الثمرات الأخرى، أن الموقن لا ينفك يقدّم صالح الأعمال، لأنه يشعر أنها الرصيد الروحي له في الدنيا، وانها رصيده في الآخرة، فتراه يقدّم الخدمات الاجتماعية للناس على اختلافها.

قال أمير المؤمنين □ في خطبة يبين فيها صفة المتقين: «عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ وَ تَجَلْبَبَ الْخَوْفَ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ وَ أَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وَ هَوَّنَ الشَّدِيد، نَظَرَ فَأَبْصَر، وذَكَرَ فَاسْتَكْثَر، وَ ارْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِده، فَشَرِبَ نَهَلا، وَ سَلَكَ سَبِيلا جَدَداً، قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ، وتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ إِلا هَمّاً وَاحِداً انْفَرَدَ بِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى، ومُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى، ومَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَه، وَ سَلَكَ سَبِيلَهُ، وعَرَفَ مَنَارَهُ وَ قَطَعَ غِمَارَهُ، واسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا، ومِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ ـ سُبْحَانَه ـ فِي أَرْفَعِ الأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَ تَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ. مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ كَشَّافُ عَشَوَاتٍ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ، دَفَّاعُ مُعْضِلاتٍ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ، يَقُولُ فَيُفْهِم، وَيَسْكُتُ فَيَسْلَم، قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَه، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وأَوْتَادِ أَرْضِهِ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ. يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، لا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلا أَمَّهَا. وَ لا مَظِنَّةً إِلا قَصَدَهَا، قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ، فَهُوَ قَائِدُه وَ إِمَامُه، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُه، وَ يَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ»(١١).

(١١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٧.

الشخصية الطاهرة

يذكر أن أحد العلماء ذهب إلى الشيخ مرتضى الأنصاري[١٢]، فشكى إليه أوضاع أحد الطلبة، وأنه يعاني من أزمة مالية، إضافة إلى مرضه، وبعض الضغوط الأخرى، فقال الشيخ: ليس عندي سوى (ثمانية توامين)[١٣]، وهي متعلقة بسنتي صوم وصلاة استئجاريّن، فقال ذلك العالم: انه يعاني من المرض، ولا يقدر على ذلك، ففكر الشيخ برهة من الزمن، ثم قال: حسناً أعطه المبلغ، وأنا سأقوم بالصلاة والصوم عنه. إن هذا المستوى من الايمان لا يأتي اعتباطاً، ولا يتولد في النفس منذ الطفولة، بل هو مجموعة ضخمة جداً من المجاهدات، ومكافحة الهوى، والهروب من كل موقف فيه شبهة، لكي تبقى النفس نظيفة طاهرة نقية، عندها تكون مستعدة لأن تحصل على اليقين، الذي هو أعلى مراتب الإيمان.

الوصول إلى الأهداف

ومن ثمرات اليقين، إضافة إلى ما مرّ، وصول الإنسان إلى أهدافه وتحقيقها؛ قال أمير

---

(١٢) هو الشيخ مرتضى بن محمد أمين الدزفولي الأنصاري □ ينتهي نسبه إلى جابر بن عبد الله الأنصاري (رض)، ولد بدزفول سنة (١٢١٤) وتوفي سنة (١٢٨١) للهجرة ودفن في المشهد الغروي، وهو الأستاذ الإمام المؤسس شيخ مشايخ الإمامية، قدم العراق وهو في العشرين من عمره فورد كربلاء وكانت الأستاذية والرياسة العلمية فيها لكل من السيد محمد المجاهد وشريف العلماء فرغّب الأول إلى والده أن يتركه في كربلاء للتحصيل على إثر مذاكراته وظهور قابليته فبقي آخذاً من الأستاذين، خرج إلى الكاظمية وعاد منها إلى وطنه واختلف إلى شريف العلماء، مر بكاشان عند خروجه لزيارة مشهد الرضا □ ففاز بلقاء أستاذه النراقي □، مما دعاه للإقامة ثلاث سنين في كاشان، وحكي عن النراقي قوله: لقيت خمسين مجتهداً لم يكن أحد منهم مثل الشيخ مرتضى، ورد النجف الأشرف عام (١٢٤٩هـ) أيام الشيخ علي بن الشيخ جعفر وصاحب الجواهر ثم انفرد بالتدريس واستقل ووضع أساس علم الأصول الحديث عند الشيعة الإمامية إلى أن انتهت إليه رياسة الإمامية العامة بعد وفاة الشيخين وصار على كتبه ودراستها معول أهل العلم، وكان □ يملي دروسه في الفقه والأصول كل يوم في الجامع الهندي حيث يغص فضاؤه بما ينيف على الأربعمائة من العلماء والطلاب وقد تخرج منه أكثر الفحول من بعد مثل الميرزا الشيرازي والميرزا حبيب الله الرشتي والسيد حسين الترك والشرابياني والمامقاني والميرزا أبو القاسم الكلانتري، من مصنفاته □ المكاسب وكتاب الطهارة المعروف بطهارة الشيخ وكتاب الصوم والزكاة والخمس ورسائله الخمس المشهورة وكثير غيرها، أنظر أعيان الشيعة: المجلد ١٠ ص١١٧ حرف (الميم).

(١٣) توامين: جمع (تومان) وهي العملة النقدية المتداولة في إيران اليوم.

المؤمنين □: «باليقين تدرك الغاية القصوى»(١٤). وبلا شك فان الغاية القصوى هي الجنة؛ إذ لا يوجد أشرف من الجنة، إلا أمر واحد، وهو حب الله عزوجل، بغض النظر عن الجنة والنار، وهذا ما اختص به الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم)، ومضافاً إلى ذلك فان الإنسان المتيقن يدرك حتى أهدافه الدنيوية؛ لأنه دائماً تسيطر عليه فكرة الايمان والتقوى، ودائماً يعيش حب الله، والنظر إليه بعين انقطعت عن جميع العلل والأسباب، فالمتيقن يستشعر التوحيد أكثر من غيره، ويدرك جيداً أنه لا مؤثر في الوجود إلا الله، فهو متمسك به في جميع أموره، ومن تمسك واعتمد على الله بدرجة عالية كان الله تعالى يده وعينه وقلبه: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾(١٥).

وبذلك يكون نظر الإنسان دائماً إلى العلة البعيدة، وهو الله، إلا إنه يراها قريبة جداً بنور إيمانه، واطمئنانه بالله عزوجل، ولا يعني هذا ترك الأسباب والعلل، بل هي أمور لابد منها، ولكن الموقن يهيئ السبب ويعمل به ونظره إلى الله عزوجل، لا إلى السبب.

خليل الرحمن □

ولذلك نرى إبراهيم الخليل □، عندما يخاطب قومه، وينكل بالأصنام والآلهة، يقول: ﴿**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾(١٦). ثم يعرض لنا صوراً من يقينه الشريف: ﴿**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ**﴾(١٧).

فكان □ لا يرى علة حقيقية غيره، حتى سيطر على لبّه الذوبان في الله، والانقطاع التام إليه عن كل شيء، توجّه إلى الله تعالى بكل إخلاص، وكذا الحال مع السحرة الذين تحدّوا موسى□، لكنهم عندما أيقنوا بأن المسألة ليست سحراً أو تضليلاً، فان نظرتهم قد انقلبت رأساً على عقب، إلى درجة أنهم حين هددهم فرعون بالقتل وتقطيع الأوصال، فقال

(١٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٧.

(١٥) سورة الطلاق: ٣.

(١٦) سورة الشعراء: ٧٧.

(١٧) سورة الشعراء: ٧٨ ـ ٨١.

لهم:﴿**لاَقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ وَلاَصلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[١٨] أجابوه بجواب المتيقن بربه، الذي لا يرهبه التقطيع أو الموت، ﴿**قَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ**﴾[١٩].ولعل أقرب مثال للموقنين هم أصحاب الحسين (صلوات الله عليهم)، الذين لم يكونوا ليشعروا بحرّ السيوف ووقعها.

الاستغناء

والاستغناء عن الناس ثمرة من ثمرات اليقين، فقد قال مولى المتقين أمير المؤمنين □: «استغن بالله عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وأفضل على من شئت تكن أميره»[٢٠].

فالموقن هو الذي لا يتوسط إلا بالله، ولا يطلب أمره إلا من عند الله، لأنه لم يكن يرى العلة غيره سبحانه، بعد أن عظم الخالق في عينه فصغر ما دونه في نظره، فهذا نزر يسير من فوائد وثمار اليقين.

بعد النظر

ومن ثمرات اليقين هو كون الموقن لديه بعد نظر في الحوادث والأمور الأخرى؛ لأنه شديد التمسك والتوكل على الله عزوجل، إلى درجة تصاغر ذاته (الأنا) وانعدامها أمام الله عزوجل، فلا يرى الموقن لنفسه وجوداً حقيقياً إلا بالله تعالى، وعندما يصل إلى هذه المرحلة، فان الله سوف يسدده في كل حياته.

هذا هو منهج الأئمة □: «وما أنا يا سيّدي وما خطري؟.. سيّدي، أنا الصغير الذي ربيته، وأنا الجاهل الذي علمته، وأنا الضال الذي هديته، وأنا الوضيع الذي رفعته...»[٢١]. وهذا المنهج هو الذي يجعل الرب تبارك وتعالى يفيض على عبده الرحمة والنعمة، والفضل وسعة الصدر، وازدياد العلم وقوة الإيمان واليقين، وبهذا الشكل نرى أن هذا السلوك سوف

---

(١٨) سورة الشعراء: ٤٩.

(١٩) سورة الشعراء: ٥٠.

(٢٠) كنز الفوائد: ج٢ ص١٩٤ فصل في ذكر الغنى والفقر.

(٢١) مصباح الكفعمي: ص٥٩٤ دعاء السحر لعلي بن الحسين □ دعاء أبو حمزة الثمالي.

يجعل من الإنسان الموقن ذا نظر بعيد، فهو حسب منهجيته يتجاوز ذاته دائماً، ليصل بالخير والودّ والحب إلى الآخرين؛ لأنه يشعر بأن ذلك يقربه من الله، فهو دائماً يفكر في المصلحة العامة، ويتخطى المصلحة الخاصة، وينعدم الطمع والحرص في ذاته، ويرى مصلحته ومصيره مع الآخرين، وكأنه يرى نفسه أباً ومسؤولاً عن الأمة ومصالحها، فتراه يلح في العبادة والتقرب ويتعب نفسه في الفروض والمستحبات، ثم يدعو الله، وعندما يدعو تراه يقدم الغير وحاجات الغير، أمام دعاؤه لنفسه أو حاجاته، فان هذا الإحساس يمثل النفس الطاهرة التي ارتقت سلم الكمال، وحلّقت في أعلى مراتبه، كما يروي الإمام الحسن □ عن مولاتنا الزهراء □ أنها «قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه لم لا تدعون لنفسك كما تدعون لغيرك؟ فقالت □: يا بني الجار ثم الدار»(٢٢). فهذا هو الأساس في العبادة، وهو الأسلوب الصحيح، حيث يذكر الإنسان الآخرين، وهو الإيثار وعلوّ النفس.

وجاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب □ قال: «قال رسول الله □: من دعا للمؤمنين والمؤمنات في كل يوم خمساً وعشرين مرة نزع الله الغل من صدره وكتبه من الأبدال إن شاء الله»(٢٣).

كيف نحصل على اليقين؟

إذا كانت درجة اليقين بهذا المستوى من الشرافة والقدسية والقرب من الله عزوجل، فحريّ بالإنسان أن يسعى للوصول بإيمانه إلى اليقين، ليضمن رضا الله عزوجل، والخطوات الواجب اتباعها من أجل ذلك هي كما يلي:

الذكر المتواصل

أي أن يذكر الله على كل حال، وفي كل موطن وموقف، وعدم التجاهل في ذلك، فان

(٢٢) علل الشرائع: ص١٨١ ب١٤٥ ح١.

(٢٣) الجعفريات: ص٢٢٣ باب فضل الدعاء للمؤمنين والمؤمنات.

للذكر أثراً عظيماً على القلب، يقول أمير المؤمنين □: «ذكر الله جلاء الصدور وطمأنينة القلوب»(٢٤).

وقال □: «الذكر جلاء البصائر ونور السرائر»(٢٥).

وقال □: «إن الله سبحانه جعل الذكر جلاء القلوب، تبصر به بعد الغشوة وتسمع به بعد الوقرة وتنقاد به بعد المعاندة»(٢٦).

فالذكر يجلي القلوب وينظفها، ويجعلها مهيأة لاستقبال الفيض الإلهي؛ إذ لو بقيت القلوب على كدورتها، لما كانت لها القابلية على استقبال الفيض من الله عزوجل، والقرآن الكريم يؤكد على مسألة الذكر، فيقول تبارك وتعالى: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً**﴾(٢٧).

ويقول سبحانه: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً**﴾(٢٨).

ويقول جل وعلا: ﴿يَا **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً**﴾(٢٩).

ثم أن الفائدة الثانية للذكر هي الاطمئنان، أي سكون القلب بذكر الله، والاطمئنان وذهاب القلق عنه كما يقول الله سبحانه: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾(٣٠). فإذا اطمأن القلب كان مستعداً لنيل واستيعاب واستقبال النعم والفيوض الإلهية العظيمة.

وقد جاء في مجمع البيان(٣١) للطبرسي □ في تفسير هذه الآية المباركة: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ**﴾ معناه الذين اعترفوا بتوحيد الله على جميع صفاته ونبوة نبيه وقبول ما جاء به من عند الله، وتسكن قلوبهم بذكر الله، وتأنس إليه... وقد وصف الله

---

(٢٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٨٩ ح٣٦٣٩ الفصل الثاني في الذكر.

(٢٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٨٩ ح٣٦٣١ الفصل الثاني في الذكر.

(٢٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٨٩ ح٣٦٣٦ الفصل الثاني في الذكر.

(٢٧) سورة الأعراف: ٢٠٥.

(٢٨) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٢٩) سورة الأحزاب: ٤١.

(٣٠) سورة الرعد: ٢٨.

(٣١) معجم البيان: المجلد٣ ص٢٩٠ تفسير سورة الرعد.

المؤمن ههنا بأنه يطمئن قلبه إلى ذكر الله، ووصفه في موضع آخر بأنه إذا ذكر الله وجل قلبه، لأنه المراد بالأول أنه يذكر ثوابه وأنعامه وآلاءه التي لا تحصى وأياديه التي لا تجازى فيسكن إليه وبالثاني أنه يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويوجل قلبه.

العناية التامة بالنوافل والمستحبات

أي أن مرحلة المحافظة على الفروض في أوقاتها تكون عنده من المسلمات، ومن الأمور العادية التي تصبح جزء من سلوكه اليومي، ثم العناية بالنوافل، فانها تقرّب الإنسان المؤمن من ربه أكثر وتجعله يلتصق بالحب الإلهي، فعن رسول الله □ أنه قال: «قال الله تعالى: ما تحبب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وانه ليتحبب إلي بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، إذا دعاني أجبته، وإذا سألني أعطيته، وما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في موت مؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»[٣٢].

صلاة الليل

ومن أفضل النوافل هي صلاة الليل لما لها من آثار عظيمة تنعكس على روح الإنسان، وازدياد إيمانه، وارتفاع شأنه في الدنيا والآخرة.

فقد نَزَلَ جَبْرَئِيلُ □ عَلَى النَّبِيِّ □ فَقَالَ لَهُ:« يَا جَبْرَئِيلُ عِظْنِي» فَقَال: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّت، وأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، واعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُلاقيهِ، شَرَفُ الْمُؤْمِنِ صَلاتُهُ بِاللَّيْلِ وعِزُّهُ كَفُّ الأَذَى عَنِ النَّاسِ[٣٣].

وقَالَ أَبو عَبْدِ اللَّهِ □ : « إِنَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ ثَلاثَة، التَّهَجُّدَ بِاللَّيْلِ وَ إِفْطَارَ الصَّائِمِ وَ لِقَاءَ الإِخْوَانِ»[٣٤].

وَ قَالَ الإمام الصَّادِق □: «عَلَيْكم بِصَلاةِ اللَّيْلِ فَإِنَّهَا سُنَّةُ نَبِيِّكُمْ ودَأبُ الصَّالِحِينَ

(٣٢) المحاسن: ص٢٩١ ب٤٧ ح٤٤٣.

(٣٣) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٤٧١ ح١٣٦٠.

(٣٤) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٤٧٢ ح١٣٦١.

قَبْلَكُمْ ومَطْرَدَةُ الدَّاءِ عَنْ أَجْسَادِكُمْ»[٣٥] .

وعَنْهُ □ قَالَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿ **إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وأَقْوَمُ قِيلا**﴾ [٣٦] قَالَ □ :«يعني بقوله ﴿**وأَقْوَمُ قِيلا**﴾ قِيَامُ الرَّجُلِ عَنْ فِرَاشِهِ يُرِيدُ بِهِ اللَّهِ لا يُرِيدُ بِهِ غَيْرَهُ»[٣٧].

ورَوَى جَابِرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ □: «أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ □ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ بِالْقِرَاءة، فَقَالَ لَهُ: أَبْشِرْ، مَنْ صَلَّى مِنَ اللَّيْلِ عُشْرَ لَيْلَةٍ لِلَّهِ مُخْلِصاً ابْتِغَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: اكْتُبُوا لِعَبْدِي هَذَا مِنَ الْحَسَنَاتِ عَدَدَ مَا أَنْبَتَ فِي اللَّيْلِ مِنْ حَبَّةٍ ورَقَةٍ وَ شَجَرَةٍ، وعَدَدَ كُلِّ قَصَبَةٍ وَخُوصٍ ومَرْعًى، ومَنْ صَلَّى تُسُعَ لَيْلَةٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ عَشْرَ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ وَ أَعْطَاهُ اللَّهُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، ومَنْ صَلَّى ثُمُنَ لَيْلَةٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ شَهِيدٍ صَابِرٍ صَادِقِ النِيَّةِ وشُفِّعَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ، ومَنْ صَلَّى سُبُعَ لَيْلَةٍ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ يَوْمَ يُبْعَثُ ووَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ حَتَّى يَمُرَّ عَلَى الصِّرَاطِ مَعَ الآمِنِينَ، ومَنْ صَلَّى سُدُسَ لَيْلَةٍ كُتِبَ فِي الأَوَّابِينَ وغُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ومَنْ صَلَّى خُمُسَ لَيْلَةٍ زَاحَمَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ فِي قُبَّتِهِ، ومَنْ صَلَّى رُبُعَ لَيْلَةٍ كَانَ فِي أَوَّلِ الْفَائِزِينَ حَتَّى يَمُرَّ عَلَى الصِّرَاطِ كَالرِّيحِ الْعَاصِفِ ويَدْخُلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، ومَنْ صَلَّى ثُلُثَ لَيْلَةٍ لَمْ يَبْقَ مَلَكٌ إلا غَبَطَهُ بِمَنْزِلَتِهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، وقِيلَ لَهُ ادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شِئْتَ، ومَنْ صَلَّى نِصْفَ لَيْلَةٍ فَلَوْ أُعْطِيَ مِلْءَ الأَرْضِ ذَهَباً سبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ لَمْ يَعْدِلْ جَزَاءَهُ وكَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَقَبَةً يُعْتِقُهَا مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ، ومَنْ صَلَّى ثُلُثَيْ لَيْلَةٍ كَانَ لَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ قَدْرُ رَمْلِ عَالِجٍ أَدْنَاهَا حَسَنَةٌ أَثْقَلُ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ، ومَنْ صَلَّى لَيْلَةً تَامَّةً تَالِياً لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ رَاكِعاً وَ سَاجِداً وذَاكِراً أُعْطِيَ مِنَ الثَّوَابِ مَا أَدْنَاهُ يَخْرُجُ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَ يُكْتَبُ لَهُ عَدَدُ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ مِنَ الْحَسَنَاتِ ومِثْلَهَا دَرَجَاتٌ، ويَثْبُتُ النُّور فِي قَبْرِهِ، ويُنْزَعُ الإِثْمُ وَ الْحَسَدُ مِنْ قَلْبِهِ، ويُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، ويُعْطَى بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ، ويُبْعَثُ مِنَ الآمِنِينَ، ويَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: يَا مَلائِكَتِي، انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي

---

(٣٥) تهذيب الأحكام: ج٢ ص١٢٠ ب٢٣ ح٢٢١.

(٣٦) سورة المزمل: ٦.

(٣٧) الكافي: ج٣ ص٤٤٦ ح١٧.

أَحْيَا لَيْلَةً ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي أَسْكِنُوهُ الْفِرْدَوْسَ ولَهُ فِيهَا مِائَةُ أَلْفِ مَدِينَةٍ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ جَمِيعُ مَا تَشْتَهِي الأَنفُسُ وتَلَذُّ الأَعْين ولَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالٍ سِوَى مَا أَعْدَدْتُ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ وَ الْمَزِيدِ والْقُرْبَةِ»(٣٨).

العيش مع القرآن

وكذلك العيش المتواصل مع القرآن قراءة وتدبراً وتأملاً، فقد روي عن أبي عبد الله □ قوله: «قال من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بدمه ولحمه، وجعله الله مع السفرة الكرام البررة، وكان القرآن حجيجاً عنه يوم القيامة، ويقول: يا رب إن كل عامل قد أصاب أجر عمله إلا عاملي فبلّغ به كريم عطاياك، فيكسوه الله عزوجل حلتين من حلل الجنة، ويوضع على رأسه تاج الكرامة، ثم يقال له: هل أرضيناك فيه؟ فيقول القرآن: يا رب، قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا، قال: فيعطي الأمن بيمينه والخلد بيساره ثم يدخل الجنة، فيقال له: إقرأ آية واصعد درجة، ثم يقال له: بلغنا به وأرضيناك فيه؟ فيقول: اللهم نعم، قال: ومن قرأ كثيراً وتعاهده من شدة حفظه أعطاه الله أجر هذا مرتين»(٣٩). فإن القرآن يعطي أهم صفة للموقنين، وهي عدم نسيانهم الآخرة، مما يدعوهم دوماً إلى العمل والجد والاجتهاد وعدم التقصير، لأنهم يرون ما لا يراه الآخرون: ﴿**وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾(٤٠). فالاستمرار بالنوافل، سواء كانت (أدعية أو صلوات) تقرّب العبد من ربه، وتجعله على يقين بربه، وللنوافل آثار عديدة، منها: الابتعاد عن الماديات، والقرب من الغيب عبر المناجاة والصلوات، والعيش بالقرب من الغيب أو الاستشعار به دائماً يلهم المؤمن يقيناً ثابتاً، وذكراً متواصلاً لله عزوجل: ﴿**الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ**﴾(٤١).

(٣٨) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٤٧٥ ح١٣٧٤.

(٣٩) ثواب الأعمال: ص١٠٠ ثواب من قرأ القرآن وهو شاب.

(٤٠) سورة البقرة: ٤.

(٤١) سورة الأنبياء: ٤٩.

خطبة المتقين

وهنا نذكر أروع ما قيل في صفة المتقين على لسان مولى المتقين وإمام الموحدين أمير المؤمنين □ فقد جاء في نهج البلاغة(٤٢):

رُوِيَ أَنَّ صَاحِباً لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ □ يُقَالُ لَهُ هَمَّامٌ كَانَ رَجُلاً عَابِداً فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لِيَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فَتَثَاقَلَ □ عَنْ جَوَابِهِ ثُمَّ قَالَ: «يَا هَمَّامُ، اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ» فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ □ ثُمَّ قَالَ □:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لأَنَّهُ لا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَ لا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ. فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، ووَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ. فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ. مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ووَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ، وَلَوْ لا الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ وَ خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ، عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ، قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَتْ

(٤٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣.

نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ لَقَدْ خُولِطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ لا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَ رَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي اللَّهُمَّ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَاغْفِرْ لِي مَا لا يَعْلَمُونَ فَمِنْ عَلامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَحَزْماً فِي لِينٍ وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ وَعِلْماً فِي حِلْمٍ وَقَصْداً فِي غِنًى وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ وَطَلَباً فِي حَلالٍ وَنَشَاطاً فِي هُدًى وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ يَبِيتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لا يَزُولُ وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لا يَبْقَى يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ قَلِيلاً زَلَلُهُ خَاشِعاً قَلْبُهُ قَانِعَةً نَفْسُهُ مَنْزُوراً أَكْلُهُ سَهْلاً أَمْرُهُ حَرِيزاً دِينُهُ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُوماً غَيْظُهُ الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ بَعِيداً فُحْشُهُ لَيِّناً قَوْلُهُ غَائِباً مُنْكَرُهُ حَاضِراً مَعْرُوفُهُ خَيْرُهُ مُدْبِراً شَرُّهُ فِي الزَّلازِلِ وَقُورٌ وَفِيالْمَكَارِهِ صَبُورٌ وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ لا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ وَلا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ لا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ وَلا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ وَلا يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ وَلا يُضَارُّ بِالْجَارِ وَلا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ وَلا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ وَلا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ وَإِنْ

بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَ النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتْعَبَ نَفْسَهُ لآخِرَتِهِ وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ ونَزَاهَةٌ وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ وَلا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ».

قَالَ: فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ□:

«أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَهَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ فَمَا بَالُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ □: وَيْحَكَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لا يَعْدُوهُ وَسَبَباً لا يَتَجَاوَزُهُ فَمَهْلاً لا تَعُدْ لِمِثْلِهَا فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ».

الاهتداء بنور أهل البيت □

من أهم الأمور الموصلة إلى اليقين التام والانقطاع إلى الله تعالى هو ملازمة أهل البيت □ ـ وهم أولياء الله عزوجل ـ في حياتهم، والسير على خطاهم بعد مماتهم. والابتعاد عن أعداء الله، الذين لا تكون خطواتهم معبرة عن الإيمان الأصيل، ولا يكون تحركهم ضمن الإطار الإسلامي والمذهب الحق، فان الابتعاد عن مواطن الشبهة والشك، والركون كلياً إلى آل الله، وهم آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم) يزيل كل اضطراب وقلق نفسي، ويرفع كل وساوس الشيطان.

نعم، الولاء لهم □ أيضاً متفاوت، فليس كل الناس في ولائهم متساوين، بل هناك درجات ومراتب في حب أولياء الله، كما هو الحال في الإيمان، فهناك من يحبهم على حرف واحد، فان أصابه شرٌّ مال عنهم إلى غيرهم، وهناك من يحبهم لأنهم شفعاؤه، وهناك من يحبهم لأنهم أنوار الله وأصفياؤه، ولأنهم ظُلموا أو عذبوا، فحبه لهم ليس في مقابل شيء.

وهناك مرحلة من الحب والولاء رفيعة وهي حبهم □ لأنهم مصدر الفيض، وان جميع الممكنات في هذا العالم تستمد فيضها ونعمها ووجودها من أصل أنوارهم الطاهرة (صلوات الله عليهم أجمعين)، وهذا القدر من الحب والولاء هو الذي يحدد تحرك الإنسان، وكذلك تطابق عمله وسلوكه مع أولياء الله، فكلما ازداد المرء حباً لهم عن وعي وعلم، كلما ازداد

يقيناً؛ لأن روحه سوف تكون مستعدة لقبول فيوض الإمام □ عليه، ومهيأة للتحلي بدعاء الإمام لها بالخير والفضيلة.

المرتابون

كلما ازداد المؤمن إيماناً بهم ازداد ثباتاً ورسوخاً في إيمانه ويقينه؛ لأنهم باب الله، فمن شك فيهم، أو ارتاب في ولايتهم، ظل قلبه غير مستقر، وتذبذب إيمانه، لأنهم كانوا يمثلون أعلى درجات اليقين فمن تبعهم لابد أن يكون في تابعيته لهم على يقين أيضاً.

فعن زرارة أنه قال: دخلت على أبي عبد الله الصادق □، وعن يمينه سيد ولده موسى □ وقدامه مرقد مغطى، فقال □ لي: «يا زرارة، جئني بداود بن كثير الرقي وحمران وأبي بصير» ودخل عليه المفضل بن عمر، فخرجت وأحضرته من أمرني بإحضاره، ولم يزل الناس يدخلون واحداً إثر واحد حتى صرنا في البيت ثلاثين رجلاً، فلما حشد المجلس، قال: «يا داود، اكشف لي عن وجه إسماعيل» فكشف عن وجهه، فقال أبو عبد الله □: «يا داود، أحي هو أم ميت؟»، قال داود: يا مولاي، هو ميت، فجعل يعرض ذلك على رجل رجل، حتى أتى على آخر من في المجلس وانتهى عليهم بأسرهم كل يقول: هو ميت يا مولاي، فقال: «اللهم اشهد»، ثم أمر بغسله وحنوطه، وإدراجه في أثوابه، فلما فرغ منه قال للمفضل: «يا مفضل، إحسر عن وجهه» فحسر عن وجهه، فقال □: «أحي هو أم ميت؟»، فقال: ميت، قال: «اللهم اشهد عليهم» ثم حمل إلى قبره فلما وضع في لحده، قال: «يا مفضل، اكشف عن وجهه» وقال للجماعة: «أحي هو أم ميت؟» قلنا له: ميت. فقال: «اللهم اشهد واشهدوا فانه سيرتاب المبطلون يريدون إطفاء نور الله بأفواههم. ثم أومأ إلى موسى □. والله متم نوره ولو كره المشركون»، ثم حثونا عليه التراب ثم أعاد علينا القول، فقال: «الميت المحنط المكفن المدفون في هذا اللحد من هو؟» قلنا: إسماعيل، قال: «اللهم اشهد» ثم أخذ بيد موسى □ وقال: «هو حق والحق منه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»[٤٣].

ولكن بعد وفاة الإمام الصادق □ نرى أن طائفة كبيرة تدعي أن الإمامة في إسماعيل، وإنه غائب، وليس بميّت، وهذا الأمر يدلل على عدم الإخلاص في الولاء، مما يؤدي إلى

(٤٣) غيبة النعماني: ص٣٢٧ ب٢٢ ص٣٢٧ ح٨.

الانحراف في العقيدة والسلوك؛ إذ أن الانضباط والإخلاص في اتباع الأولياء من العوامل المهمة والرئيسية في مسيرة الكمال الإنساني، لأنهم يضعون لنا الخطوط العريضة، والقواعد الرئيسية، والخطوات المطلوبة في المسيرة، وأيضاً يضعون الإشارات الحمراء، ويشخصون مناطق الخطر، فإذا زاغ الإنسان عن متابعتهم اختلطت عليه المراحل، وانعدمت عنده الرؤية الصافية، فتبدأ مرحلة الانحراف، وبالتالي الخروج من جادة الحق والصواب، وعدم الوصول إلى الهدف المنشود.

اللهم صل على محمد وآل محمد، وتفضّل علي اللهم وأنطقني بالهدى، وألهمني التقوى، ووفقني للتي هي أزكى، واستعملني بما هو أرضى، اللهم أسلك بي الطريقة المثلى، وأجعلني على ملتك أموت وأحيا(٤٤).

(٤٤) الصحيفة السجادية: الدعاء العشرون، من دعائه في مكارم الأخلاق.

من هدي القرآن الحكيم

العمل مع الإيمان

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾(٤٥).

وقال عزوجل: ﴿وَالَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾(٤٦).

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾(٤٧).

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾(٤٨).

اليقين في الدين

قال سبحانه: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾(٤٩).

وقال عزوجل: ﴿وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ﴾(٥٠).

وقال تعالى: ﴿يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾(٥١).

وقال جل وعلا:﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٥٢).

ثمرات اليقين

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾(٥٣).

وقال سبحانه: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٥٤).

---

(٤٥) سورة مريم: ٩٦.

(٤٦) سورة العنكبوت: ٧.

(٤٧) سورة العنكبوت: ٩.

(٤٨) سورة فصلت: ٨.

(٤٩) سورة البقرة: ٤.

(٥٠) سورة الأنعام: ٧٥.

(٥١) سورة الرعد: ٢.

(٥٢) سورة البقرة: ١١٨.

(٥٣) سورة السجدة: ٢٤.

(٥٤) سورة الجاثية: ٢٠.

الطاعة

قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾(٥٥).

وقال عزوجل: ﴿**وأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ**﴾(٥٦).

وقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾(٥٧).

وقال جل وعلا: ﴿**فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَءاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾(٥٨).

---

(٥٥) سورة النور: ٥٤.

(٥٦) سورة الأنفال: ٢٠.

(٥٧) سورة النساء: ٥٩.

(٥٨) سورة المجادلة: ١٣.

من هدي السنة المطهرة

العمل والإيمان

قال رسول الله □: «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه»(٥٩).

وقال أمير المؤمنين □: «بالصالحات يستدل على حسن الإيمان»(٦٠).

وقال أبو عبد الله الصادق □: «... الإيمان لا يكون إلا بعمل والعمل منه ولا يثبت الإيمان إلا بعمل»(٦١).

اليقين

قال رسول الله □: «خير ما ألقي في القلب اليقين»(٦٢).

وقال أمير المؤمنين □: «باليقين تتم العبادة»(٦٣).

وقال رسول الله □: «كفى باليقين غنى وبالعبادة شغلاً»(٦٤).

وقال أمير المؤمنين □: «كن موقناً تكن قوياً»(٦٥).

وقال أمير المؤمنين □: «اليقين يثمر الزهد»(٦٦).

وقال الإمام الصادق □: «اليقين يوصل العبد إلى كل حال سني ومقام عجيب، كذلك أخبر رسول الله □ عن عظم شأن اليقين حين ذكر عنده عيسى بن مريم □ كان يمشي على

---

(٥٩) نهج الفصاحة: ص١٤٦ ح٧١٧.

(٦٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٤ ح٢٨٧١ الفصل٤ في العمل.

(٦١) الكافي: ج٢ ص٣٨ باب الإيمان ح٣.

(٦٢) أمالي الشيخ الصدوق □: ص٤٨٧ المجلس ٧٤ ح١.

(٦٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦١ ح٧٠٧ الفصل١٠ اليقين كمال المعرفة.

(٦٤) المحاسن: ص٢٤٧ باب اليقين والصبر ح٢٥١.

(٦٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٢ ح٧٤٧ الفصل١٠ اليقين كمال المعرفة.

(٦٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٢ ح٧٣٥ الفصل١٠ اليقين كمال المعرفة.

الماء، فقال: لو زاد يقينه لمشى في الهواء»[٦٧].

عن يونس قال: سألت أبا الحسن الرضا □ عن الإيمان والإسلام، فقال: «قال أبو جعفر □: إنما هو الإسلام والإيمان فوقه بدرجة والتقوى فوق الإيمان بدرجة واليقين فوق التقوى بدرجة، ولم يقسم بين الناس شيء أقل من اليقين» قال ـ يونس ـ : فأي شيء اليقين؟ قال □: «التوكل على الله والتسليم لله والرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله» قلت: ما تفسير ذلك؟ قال □: «هكذا قال أبو جعفر □»[٦٨].

الطاعة

قال رسول الله □: «.. ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حله فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته»[٦٩].

وقال أمير المؤمنين □: «نعم الوسيلة الطاعة»[٧٠].

وقال أمير المؤمنين □: «طاعة الله مفتاح كل سداد وصلاح كل فساد ومعاد»[٧١].

الأولياء والمؤمنون

قال أَبو عَبْدِ اللَّهِ الصادق □:«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ □: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَ عَظَّمَهُ مَنَعَ فَاهُ مِنَ الْكَلامِ وَ بَطْنَهُ مِنَ الطَّعَامِ وعَفَا نَفْسَهُ بِالصِّيَامِ والْقِيَامِ. قَالُوا: بِآبَائِنَا وأُمَّهَاتِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَؤُلاءِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ سَكَتُوا فَكَانَ سُكُوتُهُمْ ذِكْراً ونَظَرُوا فَكَانَ نَظَرُهُمْ عِبْرَةً ونَطَقُوا فَكَانَ نُطْقُهُمْ حِكْمَةً ومَشَوْا فَكَانَ مَشْيُهُمْ بَيْنَ النَّاسِ بَرَكَةً لَوْلا الآجَالُ الَّتِي قَدْ كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ لَمْ تَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ خَوْفاً مِنَ الْعَذَابِ وَ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ»[٧٢].

وخَطَبَ النَّاسَ الإمام الْحَسَنُ بْنُ عَلِي □ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاس، أَنَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَخٍ لِي كَانَ مِنْ □ □أَعْظَمِ النَّاسِ فِي عَيْنِي، وكَانَ رَأْسُ مَا عَظُمَ بِهِ فِي عَيْنِي صِغَرَ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، كَانَ

(٦٧) بحار الأنوار: ج٦٧ ص١٧٩ ب٥٢ ح٤٥.

(٦٨) بحار الأنوار: ج٦٧ ص١٨٠ ب٥٢ ح٤٨.

(٦٩) بحار الأنوار: ج٦٧ ص٩٦ ب٤٧ ح٣.

(٧٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٨٢ ح٣٤٢٥ الفصل ١ في طاعة الله.

(٧١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٨٢ ح٣٤٢٢ الفصل ١ في طاعة الله.

(٧٢) الكافي: ج٢ ص٢٣٧ ح٢٥.

خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلا يَشْتَهِي مَالا يَجِدُ، ولا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ، كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ فَرْجِهِ فَلا يَسْتَخِفُّ لَهُ عَقْلَهُ ولا رَأْيَهُ، كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ الْجَهَالَةِ فَلا يَمُدُّ يَدَهُ إِلا عَلَى ثِقَةٍ لِمَنْفَعَةٍ، كَانَ لا يَتَشَهَّى ولا يَتَسَخَّطُ ولا يَتَبَرَّمُ، كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَمَّاتاً، فَإِذَا قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ، كَانَ لا يَدْخُلُ فِي مِرَاء، ولا يُشَارِكُ فِي دَعْوَى ولا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَرَى قَاضِياً، وكَانَ لا يَغْفُلُ عَنْ إِخْوَانِهِ، ولا يَخُصُّ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ دُونَهُمْ، كَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً فَإِذَا جَاءَ الْجِدُّ كَانَ لَيْثاً عَادِياً، كَانَ لا يَلُومُ أَحَداً فِيمَا يَقَعُ الْعُذْرُ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَرَى اعْتِذَاراً، كَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ وَ يَفْعَلُ مَا لا يَقُولُ، كَانَ إِذَا ابْتَزَّهُ أَمْرَانِ لا يَدْرِي أَيُّهُمَا أَفْضَلُ نَظَرَ إِلَى أَقْرَبِهِمَا إِلَى الْهَوَى فَخَالَفَهُ، كَانَ لا يَشْكُو وَجَعاً إِلا عِنْدَ مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الْبُرْءَ، ولا يَسْتَشِيرُ إِلا مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ النَّصِيحَةَ، كَانَ لا يَتَبَرَّمُ، ولا يَتَسَخَّطُ، ولا يَتَشَكَّى، ولا يَتَشَهَّى، ولا يَنْتَقِمُ، ولا يَغْفُلُ عَنِ الْعَدُوِّ، فَعَلَيْكُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الأَخْلاقِ الْكَرِيمَةِ إِنْ أَطَقْتُمُوهَا، فَإِنْ لَمْ تُطِيقُوهَا كُلَّهَا فَأَخْذُ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ»(٧٣).

عَنْ مِهْزَمٍ الأَسَدِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ □:«يَا مِهْزَمُ، شِيعَتُنَا مَنْ لا يَعْدُو صَوْتُهُ سَمْعَهُ، ولا شَحْنَاؤُهُ بَدَنَهُ، ولا يَمْتَدِحُ بِنَا مُعْلِناً، ولا يُجَالِسُ لَنَا عَائِباً، ولا يُخَاصِمُ لَنَا قَالِياً، إِنْ لَقِيَ مُؤْمِناً أَكْرَمَهُ، وإِنْ لَقِيَ جَاهِلا هَجَرَهُ» قُلْت: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِهَؤُلاءِ الْمُتَشَيِّعَةِ؟ قَالَ: «فِيهِمُ التَّمْيِيزُ وفِيهِمُ التَّبْدِيلُ وفِيهِمُ التَّمْحِيصُ، تَأْتِي عَلَيْهِمْ سِنُونَ تُفْنِيهِمْ، وطَاعُونٌ يَقْتُلُهُمْ، واخْتِلافٌ يُبَدِّدُهُمْ، شِيعَتُنَا مَنْ لا يَهِرُّ هَرِيرَ الْكَلْبِ، ولا يَطْمَعُ طَمَعَ الْغُرَابِ، ولا يَسْأَلُ عَدُوَّنَا، وإِنْ مَاتَ جُوعاً» قُلْت: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَأَيْنَ أَطْلُبُ هَؤُلاءِ؟ قَالَ: «فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ، أُولَئِكَ الْخَفِيضُ عَيْشُهُمْ الْمُنْتَقِلَةُ دِيَارُهُمْ، إِنْ شَهِدُوا لَمْ يُعْرَفُوا، وإِنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، ومِنَ الْمَوْتِ لا يَجْزَعُونَ وفِي الْقُبُورِ يَتَزَاوَرُونَ، وإِنْ لَجَأَ إِلَيْهِمْ ذُو حَاجَةٍ مِنْهُمْ رَحِمُوهُ، لَنْ تَخْتَلِفَ قُلُوبُهُمْ وإِنِ اخْتَلَفَ بِهِمُ الدَّارُ»(٧٤).

وقال أبو جَعْفَرٍ □:«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ الَّذِي إِذَا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي إِثْمٍ ولا بَاطِلٍ، وإِذَا سَخِطَ لَمْ يُخْرِجْهُ سَخَطُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ، والَّذِي إِذَا قَدَرَ لَمْ تُخْرِجْهُ قُدْرَتُهُ إِلَى التَّعَدِّي إِلَى مَا

(٧٣) الكافي: ج٢ ص٢٣٧ ح٢٦.

(٧٤) الكافي: ج٢ ص٢٣٨ ح٢٧.

لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ»[٧٥].

وقال □:«الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ، كَالْجَمَلِ الأَنِفِ إِذَا قِيدَ انْقَادَ وإِنْ أُنِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ»[٧٦].

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ □:«الْمُؤْمِنُ كَمِثْلِ شَجَرَةٍ لا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا فِي شِتَاءٍ ولا صَيْفٍ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ومَا هِيَ؟ قَالَ: «النَّخْلَةُ»[٧٧].

وقال أَبو عَبْدِ اللَّهِ □:«الْمُؤْمِنُ حَلِيمٌ لا يَجْهَلُ، وإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ يَحْلُمُ، ولا يَظْلِمُ وإِنْ ظُلِمَ غَفَرَ، ولا يَبْخَلُ وإِنْ بُخِلَ عَلَيْهِ صَبَرَ»[٧٨].

وقال □:«الْمُؤْمِنُ مَنْ طَابَ مَكْسَبُهُ وحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ وصَحَّتْ سَرِيرَتُهُ وأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ كَلامِهِ وكَفَى النَّاسَ شَرَّهُ وأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ»[٧٩].

---

(٧٥) الكافي: ج٢ ص٢٣٤ ح١٣.

(٧٦) الكافي: ج٢ ص٢٣٤ ح١٤.

(٧٧) الكافي: ج٢ ص٢٣٥ ح١٦.

(٧٨) الكافي: ج٢ ص٢٣٥ ح١٧.

(٧٩) الكافي: ج٢ ص٢٣٥ ح١٨.

الفهرس

كلمة الناشر ٣
كدح الإنسان في الدنيا ٦
درجات اليقين ٧
الموقنون وخرق العادة..... ٨
ثمرات اليقين ١٠
السعادة العظمى ١٠
الرصيد الروحي ١٠
الشخصية الطاهرة ١٢
الوصول إلى الأهداف..... ١٢
خليل الرحمن □ ١٣
الاستغناء..... ١٤
بعد النظر ١٤
كيف نحصل على اليقين؟ ١٥
الذكر المتواصل ١٥
العناية التامة بالنوافل والمستحبات ١٧
صلاة الليل ١٧
العيش مع القرآن ١٩
خطبة المتقين..... ٢٠
الاهتداء بنور أهل البيت □ ٢٢
المرتابون ٢٣
من هدي القرآن الحكيم..... ٢٥
من هدي السنة المطهرة ٢٧
الفهرس ٣١

رجوع إلى القائمة